اخراج رواية « ابن جلا »

تعليق على تعقيب

للاستاذ أحمد رمزي بك

المدير العام لمصلحة الاقتصاد الدولي

أشكر للأستاذ البارودي الكلمة التي تفضل بالتعليق بها على كلمتي حول إخراج رواية « ابن جلا »

وأبادر بأن أعلمه أن قصدي من النقد هو إبداء الرأي رغبة في الاصلاح لا في الهدم ، ثم أعلمه بأنني أعد عمل عزيز أباظة باشا وعمل محمود تيمور بك في كتابة « شجرة الدر » نظما وتأليف « ابن جلا » نثرا ، فتحا جديداً للمسرح العربي ، لا يقل بحال عن الفتح الذي بدأ به أمير الشعراء ، رحمه الله . ولذا أطلب المزيد من إخراج حوادث وأيام ومظاهر تاريخنا العظيم ...

وليسمح لي الأستاذ بأن أصارحه أنني أجل الصديق العزيز زكي طليمات بك وأقدر علمه وفنه وأعرف تماما ما بذل من جهد في التمثيل والتخريج والاخراج ، وأنا على يقين من المصاعب والعقبات التي واجهته في كل ذلك ، ولذا أهنئه من كل قلبي

ولي الحق بعد هذا أن أقول له بإخلاص : إن أخبار الحجاج معروفة في كتب الأدب والتاريخ وأعماله مشهورة ومشهودة ، وقد كنت أنتظر منه ومن تلامذته وطلابه الرجوع إلى امهات الكتب العربية لا إلى كتب المدارس الثانوية لكي يتعرفوا على روح العصر ولكن يتصلوا بالحجاج وأقواله وشخصيته وزمنه اتصالا وثيقا

وما أقوله عن رواية « ابن جلا » ينطبق على رواية « شجرة الدر » كنت أؤمل في أن يتمثل الممثلون ورجال الفن بالعصر الذي دارت فيه ظروف هذه الرواية وأن يعيشوا حقبة وسط أدواره وأيامه

أقول هذا لأن الصورة التي ظهر بها صديقي زكي طليمات بك في دور الحجاج ليست صورة الحجاج « رغم ما كان يعتمل ويحتدم في باطنه من استعلاء »

ثم أقول إن الصورة التي ظهر بها بيبرس في « شجرة الدر » لا تمت بصلة إلى شخصية بيبرس

إنني لن أتكلم عن التأليف التاريخي في المسرح العربي ، لأن الكتاب والشعراء لا يزالون يجاهدون في الخطوات الأولى وهي ليست هينة ، ويصعب على ابداء رأي قاطع وان كنت أقرر أن التأليف التاريخي يحتم الاستعانة بأهل الخبرة والاطلاع ، ولا يسعنا أن نطالب من المؤلف أن يلم بكل تفاصيل التاريخ ولكن لا ندع هذه الفرصة تمر دون أن نشير عليه بأن يلم بروح العصر وبالعوامل النفسية التي كانت تختلج في صدور أبطاله

وأعود إلى الإخراج فأقرر بأنني أعد الإخراج بدائيا ، إذا لم يكن منطبقا على أصول الإخراج المعروفة ، بصرف النظر عن فكرة هل في وسع المخرج ماديا مراعاة هذه الأصول أم لا ...

لأننا نطالب من المخرج حينما يتعرض لإخراج الروايات التاريخية شرائط يلزم نفسه باتباعها ، فأما أن تكون بين يديه فيحصل على تحقيق نهاية ما يمكنه من الإخراج الصحيح أو ما يقرب من الصحيح ، وإما أن يعتذر عن الإخراج الذي لم تستعد له البلاد بعد

ولا أزال على رأيي من أن الإخراج التاريخي لا يزال بدائيا في مصر ، وهذه حقيقة ثابتة ملموسة واضحة منذ أيام الشيخ سلامة حجازي إلى اليوم . والأدلة على ما أقول كثيرة ولا محل لتكرارها

أما الإخراج في غير هذه الروايات التاريخية ، وأقصد بالتاريخية ما مس تاريخنا وعصورنا ، أقول إنه حينما وجدنا المشق أمامنا ، في التمثيل والتخريج والإخراج ، جاء تقليدنا موفقاً بقدر يقظتنا واهتمامنا بالنقل عن المسرح الأوروبي والتأثر بمناظره وحركاته وإشاراته

وكنا نشعر بأن تخريج شخصية لويس الحادي عشر بواسطة الأستاذ الجليل جورج أبيض بك كان موفقا جدا ، بل إنني لا أجد غضاضة واحدة على إخراج الملابس والأثاث والمناظر لهذه الرواية

لا من الناحية التاريخية ولا من جهة مطابقة المناظر والأثاث والملابس للحقيقة التي كانت سائدة في عصر لويس الحادي عشر

لماذا لازم المسرح العربي هذا التوفيق ؟

لأن القائمين بالتمثيل والاخراج في مثل هذه الروايات وجدوا الشق والصورة والنموذج أمامهم في كل شيء ، فلم يكن أمامهم سوى التقليد في إخراج الرواية وتخريج الشخصية ومحاكاة التمثيل في الالقاء والاشارة

ولذا أعد مهمة المخرج العربي ورسالته محصورة مؤقتا في الأخذ بالروايات الكلاسيكية أو الأوروبية المشهورة التي سبق للمسارح العالمية إخراجها ، وذلك حرصا مني على الخطوات التي سار فيها المسرح المصري ، ولكي لا نتعثر في الأخطاء الكثيرة التي وقعنا فيها في رواية « شجرة الدر » و« ابن جلا »

وليس ذلك من قبل تثبيط الهمم أو الدعوة إلى إهمال الروايات التي تمثل أزهى عصورنا التاريخية ولكني أقولها بصراحة وفي مواجهة المسئولين والمختصين اني أحرص على تراثنا التاريخي حرصا لامزيد عليه ، وأريد أن أعيش لأرى هذا التراث على المسرح ، بمظهر القوة والعظمة في التمثيل والاخراج ، الذي يرتاح اليه ضميري ويطمئن له قلبي ويرضى عنه شعوري وإحساسي بقدسية هذا الماضي الذي يملأ كل جوانب نفسي

وإني كرجل يقدر رسالة المسرح العربي وأثره في يقظة الشعور القومي والوعي التاريخي لايضنني إلا أن أشير إلى مايصاحب هذه الفكرة من عقبات تتعلق بالبحث والدرس والتدقيق وما يلزم كل ذلك من ابتكار وابتداع وخيال وصناعة ، فنحن الذين نقلب صفحات كتب التاريخ القديمة لا نعطي لأنفسنا أكثر مما نستحق أو أبعد مما نعلم إذ لكل جهد غاية ونهاية ، وقد تقف بنا الجهود عند رأي أو فكرة وقد نعلم أشياء عن عصر معين ، ونجهل أشياء كثيرة عن عصور أخرى ، فمقدار علمنا في كثير من هذه الأمور محدود ، ومقدار تشبعنا بأي عصر من العصور قاصر عليه قد لا يتعداه .

فإذا طلب إلى المسرح بفرقه المختلفة إخراج بعض الروايات التي تمثل عصر الحجاج أو شجرة الدر أو صلاح الدين أو العصر العباسي يجب أن نتدبر الأمر وأن نفكر فيه ، حتى لا نقع في التناقضات والأخطاء التي يصح أن تكون موضع انتقاد الغير وانتقاصه لسمعتنا .

وعليه أعتقد — ولا جناح عليّ في ذلك — إن جهود المسرح العربي يجب أن تتوافر على إخراج رواية تاريخية في العام الواحد ، وأن يكون الاستعداد لها — ماديا — بعد دراستها دراسة علمية : تستند على ثقافة وافرة واطلاع عميق على النصوص التاريخية وعلى علم الآثار ، وعلى تفهم ميزات كل عصر في كل ما يتعلق بالملابس وشارات الملك والأسلحة والأثاث والمعمار ، ولا يسع عالما واحداً أن يقوم بكل ذلك بل أن هذا العمل يستلزم تعاون طائفة من أهل الفن والعلم والاختصاص .

وأظن أن الأستاذ البارودي لا يخالفني في هذا الرأي — أما قوله إن الروايات التاريخية يجوز إخراجها بملابس ومناظر عصرية فرأي له أنصاره وهو يمكن الجمهور من الاستماع إلى رنين الألفاظ وأداء المعنى المقصود من عبارات المؤلف ، ولو أخذنا في إخراج « شجرة الدر » « والحجاج » بهذا الرأي لم يكن لنا أن يتكلم منتقداً ملابس العصر وشواهده ...

أما وقد أخذ المسرح بالإخراج التاريخي لا المصري فأنا عند رأيي الأول من أن إخراج الجند الشامي في رواية الحجاج بملابس القرن العشرين جاء مضحكا ، وأكثر منه إمعاناً في التسلية إلباس أحد قواد الحجاج ملابس القائد الإيراني لعهد مظفر شاه ...

وحيث أننا انتقلنا من المذهب المصري إلى الإخراج التاريخي وجب علينا التقيد بالرأي القائل بأن يكون الإخراج مطابقاً في مناظره وملابسه للحقيقة التاريخية .

وإلا جاز إخراج رواية لويس الحادي عشر بملابس نابليون ، وإلباس لويس الرابع عشر ملابس عهد الثورة الفرنسية . أؤكد للقارئ أن أي مسرح أوروبي يقدم على هذا الخلط والمزج الغريب يسقط في فرنسا سقوطا فاحشا ...

ولقد استشهد الأستاذ البارودي ببعض روايات برناردشو في كلامه ، ولكن ما رأيه في أن برناردشو حينما أشرف على كتابة محاورات رواية كيلو بطرة ، اهتم بالإخراج اهتماما بالغاً ، فتتبع حياة يوليوس قيصر ، وعكف على دراسة مختلف ملابس العصر والألوان التي كان يلبسها ويحبب بها قيصر ، وأن تدقيقه في أسلحة ذلك الزمن ، دفعه إلى استعراض كل ما كتب عنها وتصفح صور المجموعات العالمية لها ، حتى وقف إلى لون الدروع

المحببة إلى قيصر والتى كان يحملها فى الحفلات

ولقد حاولت وما غيرى أن أجد فى الرواية منظرا نابيا أو أجد خطأ فى ملابس القواد والجند والخدم والحاشية ، أو تساهلا فى الأثاث والمبانى ، أو شيئا يمت إلى عصر لاحق لعصر قيصر فلم أجـــد شيئا من ذلك ، فعرفت حقا أن الإخراج التاريخى لمانة ...

إننى أصدقه ، فى أن الإخراج الواقعى أى محاولة تمثيل الواقع حرفياً أمر صعب ، بل إذا قصـــد به إخراج الواقع فى الحياة وما يلازمها عاما كصورة طبق الأصل ، أصبح الاخراج أدعى إلى ضجر الجمهور ، لأن التمثيل والاخراج يحتاجان إلى الخروج عن قاعدة محاراة الحقيقه التى يعيشها الانسان فى حياته العادية

ولـكن الأمر هنا يتعلق بمعرفة القدر اللازم إدخاله من المغالاة فى التعبير والاشارة ، ثم إلى حسن الاختيار ، وهنا يبرز خيال المخرج ليلتقى مع صناعته وذوقه فى صعيد واحد وهذا هو الفن ، ولـكن اتساءل هل هذا المذهب يبرر القول بأن استعمال الخط النسخ بدل الـكوفى مسألة ثانوية ، إذ ما ذنب الجمهور الذى يتلقى درساً خاطئاً فى حقيقة تاريخية ثابتة كان يسهل جدا على المخرج تلافيها ؟ وما أسهل ذلك عليه ، بوضع الـكتابة على الأعلام كوفية فى رواية « ابن جلا » وبالنسخ فى «شجرة الدر»

إن المجهود الذى بذله الأستاذ زكى طليمات بك فى التمثيل رائع حقاً ، وفى الإخراج عظيم . وقد شرح لى عزته المصاعب التى كانت أمامه ، ولـكننى كرجل حريص على تاريخنا الإسلامى الذى ننحدر من أيامه وتتكون شخصيتنا من مواقفه وعظمته الخالدة ، أقول إن الشخصية التى ظهر بهـا على المسرح ليست شخصية الحجاج ، إنها أقرب ما تـكون إلى تيمور لنك أو شخصية « أورسون ويلز » فى روايته السينمائية لما فعل بورجيا أو القائد الاسيوى بايان فى « الوردة السوداء » .

الحجاج وهو سيف بنى مروان يحتاج إلى دراسة أعمق من هـذا لـكى نظهره كما قال الأستاذ البارودى « أداة سياسية فى المجتمع أو خادما ساهراً على مصلحة الجماعة » أو لـكى يظهره « بطلا تاريخياً تتمحى فرديته أمام عنصره السياسى التى عنى إلى الجماعة بصفة عامة » .

إن تقمص شخصية الحجاج تحتم أولا تفهم عصر الحجاج ، كما أن إبراز المعانى الـكامنة والغامضة تستدعى تـكشف الدوافع النفسية ، وكل هذا يتطلب أن يعيش الإنسان فى عصر الحجاج ولو فترة بين الراجع . كنت أنتظر أكثر من هـذا ولـكنى لا أزال أؤمل وأنتظر من الصديق زكى طليمات بك ما هو أعظم وما يتفق مع « ما يستعمل ويحتدم » بين جنبين من آمال كبيرة ورغبة للوصول إلى آفاق بعيدة .

أحمد رمزى

مسرحية ابن جلا

لما نشرت الرسالة الغراء نقد مسرحية « ابن جلا » للأستاذ أنور فتح الله ، رأيت فى نقده تحاملا ظاهراً على المؤلف لا يستند إلى حقيقة ولا يرمى إلى غاية بريئة وهو نفس الأمر الذى لاحظه أستاذنا الزيات فعلق عليه بقوله « إن الناقد قد نظر إلى المسرحية بعين السخط فرأى المساوئ » .

والأستاذ الناقد من خريجى قسم النقد بمعهد التمثيل الذى أقوم بالتدريس فيه ، وهو فى نفس الوقت ناقد ناشئ مجتهد ، ومن هنا وجدت تشجيعاً له وتـكريما أن أعقب على نقده وليس بينى وبينه سوى هذا ، فلم يكن هناك داع أن يجأر الناقد فى مقاله بأنى تعديت الناحية الموضوعية للنقد إلى التعريض بشخص الناقد الذى لم أذكره بخير أو بشر إلا فى حدود ما خطه قلمه ، فإذا أضفنا إلى ذلك أن معرفتى بصاحب المسرحية أستاذنا تيمور بك هى عن طريق مؤلفاته إذ أنى لم أتشرف بمعرفته أو لقائه حتى اليوم لظهر أن تعقيبى على مقال الناقد كان بريئاً خالصاً لوجه الفن والحقيقة وأنه لم يكن مستساغا هذا الغمز

ويأتى اليوم ناقدنا البصير يردد ماقاله فى نقده الأول ويهرب من مآخذى بتصوير دوافع شخصية خيالية تحويها . وهـذا أمر لا يليق بناقد فى مستهل حياته أفسحت له مجلة كبيرة صدرها . وإنى لأنصح له مخلصاً أن يلتزم جانب الحق وأن يرجع إليه دائماً وليس بضاره هذا بل إنه لأكرم وأجدى . أما إذا كان يرى أن فى تسفيه